سلسلة تفريغات

فريق موقع الآجري للتفريغ

(٠٥)

فقه الأسماء الحسنى

الشّافي

لفضيلة الشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

حفظه الله تعالى

برنامج من إذاعة القرآن الكريم

٢١-٣-١٤٢٩هـ

تفريغ: محمد عماد نوفل

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعد،

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته... معاشر المستمعين،

ومن أسماء الله الحُسنى: **الشَّافي**. وهو من الأسماء الثابتة في السنة النبوية؛ فقد ثبت في الصحيحين عن عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-، أنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يُعَوِّذُ بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول: ((**اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، أَذْهِبِ الْبَأْسَ، وَاشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لاَ شِفَاءَ إِلاَّ شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا**))، وفي رواية عنها قالت: كان رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إذا اشتكى منَّا إنسان مسحه بيمينه ثم قال.. وذكرت الدعاء. وفي رواية قالت: إن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان يرقي بهـٰذه الرقية.. وذكرته.

وثبت في صحيح البخاري عن عبد العزيز بن صهيب قال: دخلت أنا وثابت على أنس بن مالك -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، فقال ثابت: يا أبا حمزة، اشتكيتُ. فقال أنس: ألا أرقيك برقية رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟ قال: بلى. قال: ((**اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، مُذْهِبَ الْبَأْسِ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لاَ شَافِيَ إِلاَّ أَنْتَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا**)).

ومعنى الشافي: أي الذي منه الشفاء، شفاء الصدور من الشبه والشكوك والحسد والحقد وغير ذلك من أمراض القلوب، وشفاء الأبدان من الأسقام والآفات وغير ذلك مما يعتور الأبدان.

ولا يقدر على ذلك غيره؛ فلا شفاء إلا شفاؤه، ولا شافي إلا هو، كما قال إبراهيم الخليل -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿**وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ**﴾[الشعراء:٨٠]، أي: هو وحده المتفرّد بالشفاء لا شريك له.

ولذا؛ وجب على كل مكلّف أن يعتقد عقيدة جازمة أنه لا شافي إلا الله، وقد بيّن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك بقوله: ((**لاَ شَافِيَ إِلاَّ أَنْتَ**)).

ولهذا؛ فإن من أحسن الوسائل إلى الله -جَلَّ وَعَلاَ- في طلب الشفاء من الأسقام والأمراض: التوسل إليه -سُبْحَانَهُ- بتفرّده وحده بالربوبية، وأنّ الشفاء بيده وحده، وأنه لا شفاء لأحد إلا بإذنه؛ فالأمْرُ أمْرُهُ، والخلق خلقه، وكلُّ شيء بتصريفه وتدبيره، وما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به.

قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدعاء المتقدم ((**اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ...**)) فيه التوسل إلى الله بربوبيته للناس أجمعين، بخَلقهم، وتدبير شؤونهم، وتصريف أمورهم؛ فبيده -سُبْحَانَهُ- الحياة والموت، والصحة والسقم، والغنى والفقر، والقوة والضعف.

وقوله: ((**اَذْهِبِ الْبَأْسَ**)) أي: أزل السقم والشدة والمرض، ولفظُه في حديث أنس: ((**اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، مُذْهِبَ الْبَأْسِ...**))، وفي هذا توسل إليه -سُبْحَانَهُ- بأنه وحده المذهبُ للبأس؛ فلا ذهاب للبأس عن العبد إلا بإذنه ومشيئته -سُبْحَانَهُ-.

وقوله: ((**وَاشْفِهِ أَنْتَ الشَّافِي**)) فيه سؤال الله الشفاء -وهو العافية والسلامة من المرض-، متوسلاً إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ- بهـٰذا الاسم العظيم، الدال على تفرده وحده بالشفاء، وأن الشفاء بيده.

وقوله: ((**لاَ شِفَاءَ إِلاَّ شِفَاؤُكَ**)) فيه تأكيد لهـٰذا الاعتقاد، وترسيخ لهذا الإيمان، وإقرار بأن الشفاء لا يكون إلا من الله -عَزَّ

وَجَلَّ-، وأن العلاج والتداوي إن لم يوافق إذنًا من الله بالعافية والشفاء؛ فإنه لا ينفع ولا يجدي.

وقوله: ((**شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا**)) أي: لا يبقي مرضًا، ولا يخلِّف علة.

ومثلُه ما رواه مسلم في صحيحه، عن أبي سعيد الخدري -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، أن جبريل أتى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: ((**يَا مُحَمَّدُ، اشْتَكَيْتَ؟ فقال: نَعَمْ. قال: بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ اللهُ يَشْفِيكَ، بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ**)).

أيها الإخوة المستمعون، واعتقاد العبد وإيمانه بأن الشافي هو الله وحده، وأن الشفاء بيده - ليس مانعًا من بذل الأسباب النافعة للتداوي، وطلب العلاج، وتناول الأدوية المفيدة؛ فقد جاء عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحاديثُ عديدة في الأمر بالتداوي، وذكر أنواع من الأدوية النافعة المفيدة، وأن ذلك لا ينافي التوكل على الله، واعتقادَ أن الشفاء بيده؛ فقد روى مسلم في صحيحه، عن جابر بن عبد الله -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: ((**لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ؛ فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرِئَ بِإِذْنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**)).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ دَاءٍ إِلاَّ أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً**)).

وفي المسند عن أسامة بن شريك -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: كنت عند النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وجاءت الأعراب فقالوا: يا رسول الله، أنتداوى؟ فقال: ((**نَعَمْ -يَا عِبَادَ اللهِ-، تَدَاوَوْا؛ فَإِنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلاَّ وَضَعَ لَهُ شِفَاءً، غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ**)) قالوا: ما هو؟ قال: ((**الْهَرَمُ**)). وفي لفظ: ((**إِنَّ اللهَ لَمْ يُنْزِلْ دَاءً إِلاَّ أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ**)).

فتضمنت -أيها الإخوة- هٰذه الأحاديثُ: إثبات الأسباب والْمُسَبَّبات، والأمرَ بالتداوي، وأنه لا ينافي التوكّل على الله -عَزَّ وَجَلَّ-؛ لأن حقيقة التوكل على الله اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضرّه في دينه ودنياه، ولا بد مع هٰذا الاعتماد من مباشرة الأسباب النافعة؛ فكما أن دفع الجوع والعطش بالأكل والشرب لا ينافي الإيمان بقوله: ﴿**وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ**﴾[الشعراء:٧٩]، فكذلك دفع المرض بالعلاج النافع والدواء المفيد لا ينافي الإيمان بقوله: ﴿**وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ**﴾[الشعراء:٨٠]، بل لا تتم حقيقة التوكل إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضياتٍ لمسبَّباتها قدرًا وشرعًا، والتي تعطيلها قدْح في التوكل نفسه.

أيها الإخوة المستمعون، وفي قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ**)) تقويةٌ لنفس المريض والطبيب، وحثٌّ على طلب ذلك الدواء، والتفتيش عليه، والبحث عنه، وقد كان من هديه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعل التّداوي في نفسه، والأمر به لمن أصابه مرض من أهله وأصحابه، وينظر هديه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في ذلك مبسوطًا في فصل بعنوان: (الطب النبوي) من كتاب (زاد المعَاد في هدي خير العباد) للعلامة ابن القيم -رَحِمَهُ اللهُ-.

أيها الإخوة المستمعون، ثم إن الواجب على العبد أن يعرف فيما يتعلق بالأسباب أمورًا ثلاثة:

أحدها: أن لا يجعل منها سببًا إلا ما ثبت أنه سببٌ شرعًا أو قدرًا.

ثانيها: أن لا يعتمد العبد عليها؛ بل يعتمد على مسببها ومقدِّرها، مع قيامه بالمشروع منها، وحرصه على النافع منها.

ثالثها: أن يعلم أنّ الأسباب مهما عظمت وقويت فإنها مرتبطة بقضاء الله وقدره لا خروج لها عنه، والله يتصرّف فيها كيف يشاء؛ إن شاء أبقى سببيتها، وإن شاء غيَّرها كيف يشاء؛ لئلا يعتمد العباد عليها، وليعلموا كمال قُدرته، وأن التصرف المطلق والإرادة المطلقة لله وحده، كما تقدم في قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**أَنْتَ الشَّافِي، لاَ شِفَاءَ إِلاَّ شِفَاؤُكَ**)).

واسأل الله العظيم، رب الناس، مذهب البأس، الشافي الذي لا شفاء إلا شفاؤه أن يشفي مرضانا ومرضى المسلمين.

وإلى لقاء آخر، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.